# نظرات في النفس والحياة

لاروشفوكولد — ليوباردي — شوبنهور

— ١ —

ان علم النفس من العلوم الحديثة ولكن وصف النفس الانسانية ومحاولة كشف مجاهلها ومخبآتها أمر قديم عالجه الشعراء والكتاب في كل قوم ولكن لعلهم لم يبلغوا من الصراحة مبلغ النظريات والنظرات التي بلغها سيجموند فرود وأمثاله وإن كان لكل مفكر نصيب وطابع خاص في الصراحة. ولا نظن أن أديباً أو مفكراً أحق النفس الإنسانية من تطلعه الى غرائب أمورها أو الأمور المألوفة التي هي في منزلة الغرائب لا نزوائها في طيات النسيان كلما رأت النفس في ذلك النسيان مأرباً لها . ولكن تقصها بتذكيرها علم وفهم. وأهمل بعض ذوي الفهم والزكانة، بريءٌ في فهم النفس، نزعاتها وخواطرها، سبيل رقيها وتخلصها من شوائبها وربما غالوا في أثر الفهم في العاطفة والنزعة والطبع وأملوا منه أكثر مما يستطاع جنيه من ثمرات أثر لطف الفهم في لطافة الحس والنفس ورقتهما . ولكن مما لا ريب فيه أن جهل النفس صفاتها وطبائعها هو العمى الروحاني وهو مصدر شر في ذاته بما يؤدي إليه من بلادة الطبع والانسياق في قسوته والاسترسال في حمقه. ومن الأدباء المفكرين الذين لهم نصيب من بحث النفس — على سبيل التفكير والتأمل لا على طريقة القصص في التصوير — لاروشفوكولد النبيل الفرنسي وليوباردي النبيل الإيطالي وشوبنهور الفيلسوف الألماني ولكل منهم نظرات صائبة وكانت في حياة كل منهم عوامل أدت الى التفكير في النفس والصراحة في القول والى الالمام بمكنونات النفوس ومعروضاتها من غرائز ونزعات وصفات . فقد سخط الاول على حكومة أمته وضرب بسهم في حرب الفروند وجرح في حصار باريس ونفي الى الريف . فكان عائشاً بين المؤتمرين ، وخالط أناساً من طبائع مختلفة ودرس أطباعهم وأطباع نفسه ولعل نفيه الى الريف أعطاه فرصة وفراغاً كي يعيد على فكره ما وعاه من طبائع الناس في حياته العملية وما وصل الى علمه من حيل رجال القصر الملكي ونسائه ودسائسهم وحبهم وبغضهم وحبهن وبغضهن وكل ذلك كان مادة يستمد منها نظراته . أما الثاني وهو

ليوباردي فقد كان معاصراً لشوبنهور ومات قبله ولو أنه كان أصغر منه سنًّا وكان من أسرة نبيلة فقيرة . وقد أنهك نفسه وجنى على صحته بالاسراف في القراءة والاطلاع حتى صار يعد حجة في الأدب على حداثة سنه. وقد منع له أبوه بعد تمنع شديد وتأب كثير أن يرحل الى المدن الايطالية الكبيرة وأن يعاشر الناس ولم تكن إيطاليا قد وحِّدت بعد بل كانت تتحكم في دويلاتها حكومات رجعية تشجع التجسس والدسائس والتلفيق فبدا له ما يبدو للرجل المفرط في الفطانة من طبائع الناس لانه درس نفوس الناس في كتب الأدب حتى امتلأ وصار لا يستطيع لاعتلاله أن يجاريهم ، ولا أن يعاشرهم لانه لم يتعوَّد من صغره أن يألف تلك الطبائع كي يهوّن عليه بعض المكروه منها اذ أنه كان كالمحجوز في بيت أبيه. وكل هذه الأسباب مهدت وسائل كشفه مكاره النفس ومساوئها التي تخالط فيها .

وامَّا شوبنهور فقد رحل أجداده من هولانده الى المانيا وصاروا من أهلها وكان أبوه من التجار وقد أراد أن يكون ابنه تاجراً مثله وأرسله في رحلة الى فرنسا ثم الى انجلترة. وقد قارن الفتى بين حرية الفرنسيين في حياتهم الاجتماعية ومغالاة الانجليز في ذلك الزمن في مراعاة العرف والتقاليد. ولعلَّ هذه المقارنة هيأت الفتى دراسة طبائع النفوس في حالي تبذلها واحتقارها. وقد ورث عن أبيه حدَّة في الطبع كما ورث عن أمه الميل الى دراسة النفوس اذ كانت أمه أديبة قصصية مفكرة . وهذا بالرغم من أنه لم يكن على وفاق معها وقد شجعه جورته كبير شعراء وأدباء الالمان كما شجعه فاجنر الموسيقي وغيرهما. وكان غزير الاطلاع لم يكتف بالآداب الاوربية بل درس الفلسفة الشرقية ولا سيما الهندية كما درس عقائد الهنود . وكان لا يحجم عن البحث في دخائل نفسه كما يبحث دخائل نفوس الناس . وفيما يلي بعض نظرات هؤلاء المفكرين مع التعقيب عليها .

## من نظرات لاروشفوكولد

( ١ ) بعض الناس اذا مات كان احساس الناس بافتقاده أعظم من احساسهم بالحزن عليه ، وبعضهم اذا مات كان إحساس الناس بالحزن عليه أعظم من احساسهم بافتقاده. ويريد افتقاده للانتفاع به . والحزن على حالك لا يكون على قدر الانتفاع به بل على قدر الائتناس به والراحة في مخالطته. وفي هذا الباب استثناء ولا كالاستثناء . مثل ذلك حزن من لا عائل له غير المفقود ومن انقطعت عنه الاسباب والحيل ووسائل كسب الرزق ، وحزن أمثال هذا إنما يكون حزناً على أنفسهم لا على المفقود إلاَّ اذا كان مما يرجى للائتناس بعشرته ولطف أساليبه في الحياة .

(٢) أكثر الناس لهم فضائل خفيـة لا تظهر الا بالتجربة وفي حالات مراتية لتلك الفضائل فهم مثل الأعشاب الطبيـة التي تظهر فضائل طبها بالتجربة وفي حالات خاصة — وهذا صحيح، ويجوز أن يقال في كل إنسان فإنك قد تعرف إنساناً لاخير فيه ولا فضل له فاذا عرضت له حالات غير منظورة رأيت له شيئاً من الفضل يدهشك فتلج في انكاره لأنه لايتفق وما تعرف من طباعه التي جبل عليهـا وما ذلك الانكار إلا لأن المفكر ينسى أن النفس الانسانية مستقر كل فضل وان غاب، وقرارة كل نقص وان رسب، وانما يليها من هذا وذاك في أكثر الأحايين ما اعتادته وسهل عليها إيراده وعمله.

(٣) قد يفخر الناس بعيوبهم ويجهرون بالمباهاة بها كما يفخر شارب الخمر بقدرته على شرب الكثير منها أو كما قد يفخر صريع الشهوات بقدرته عليها وعما نفقه منها، أو كما قد يفخر الآخذ بالثأر أو الذي يدفع الشر بشر أعظم. وقد يفخر غير هؤلاء بعيوبهم إلا الحسود فانه يخجل أن يفتخر بلؤم الحسد فاذا افتخر حمل ما ظهر منه على سبب آخر غير الحسد فيحمله على الغضب للحق والغيرة على الصدق والصواب أو الانتصار للعدل الخ.

(٤) الاعتراف بالجميل المصنوع معك هو الدين الذي تدفعه كي تعود فتستدين فتجد من يقرضك وليس ذلك الاعتراف من أجل أنك تراه فرضاً واجب الأداء وفضيلة تحبها لذاتها من غير مآرب آخر. وهذا من السخر الكثير الذي نجده في نظرات هذا المفكر. ولك ان ترفض هذا الرأي في حالات. ولكن ينبغي لك الاعتراف بأنه يصدق في أكثر الناس لأن النفس طبعت على الأثرة وهي تتخلى عن أثرتها اذا تخلت، لأنها تجد أو تأمل ان تجد مسرة وتعماً والمسرة نعم أيضاً. ولعله يعني أداء ما يتطلبه الاعتراف بالجميل إذ ان بعض الناس قد يعترف بجميل لم يُصنَع معه رغبة في الحث عليه واستمطاره وتصيـداً لاوجه الخير من الناس

(٥) بعض فضل أهل الفضـل ممجوج ثقيل كما ان عيوب بعض النـاس ونقائصهم قد تستملح وتستلطف فتغتفر وما ذلك إلا لأن ظاهر المرء مفضل لدى النـاس على حقيقته وأسلوبه في ملاطفتهم ومعاشرتهم مُقَـدَّم على فضله.

(٦) لولا مخادعة الناس بعضهم بعضاً ما استطاع الناس ان يعاشر بعضهم بعضاً. وهذا صحيح. ومن أجل ذلك قد يكره النـاس من لا ينخدع لهم بلباقة أو يدعي الانخداع في أمور كثيرة. هذا إلا اذا كان انخداعه دليلاً على البلاهة فيرون انه لا فضل له في ذلك الانخداع وإنه خليق بالهزء والاحتقار.

(٧) بعض الناس لاتظهر مهارتهم ولا يظهر فضلهم إلا إذا اقتصروا على قول الأقوال التافهة بأسلوب لبق وإلا إذا اقتصروا على عمل من الأعمال الهينة بإناقة محبوبة تدني من

مطالبتهم بما هو فوق ذلك . ومن أجل صحة هذا الرأي قد تتعجب لنجاح أناس في الحياة نجاحاً لا يتفق مع عظم قدره وقلة ما يعرفون . أما قول الناس إن الخيبة في الأمر العظيم أعظم من النجاح في الأمر الهين، فقد يكون صحيحاً مشجعاً على محاولة عظائم الأمور ولكن أكثر الناس يهمهم النجاح في الحياة ولا يستطيعون ان يسيغوا الخيبة .

( ٨ ) قد يفعل الناس الخير رغبة في التستر وراءه كي يعملوا الشر آمنين . فليس عملهم الخير في هذه الحالات من جسيم المخبر . وهذا مخبر لاذع ولكنه حقيقة مشهودة .

( ٩ ) الكمل والكبر يحملان أكثر الناس على الميل الى اعتقاد النقص في غيرهم من غير بحث أو دليل — وهناك أسباب أخرى لهذا الميل منها ان الناس ترى إن ما ينتقص من قدر غيرهم يزيد في قدرهم . ومنها معرفتهم أن النقص شامل للنفوس البشرية كلها محتمل فيها ، وبين الاحتمال والحقيقة وبين الجواز والوقوع خطوة في نظرهم لا تكلفهم تعباً ولا نصباً . ومن الأسباب أيضاً إن الناس من قديم الزمن كانت خطتهم نقل نقصهم إلى نفوس غيرهم بل الى حيوان أو جماد إذا لم يكن انساناً وكانت لهذا النقل شعائر ورسوم عند البدائيين وقد وصفها سيجموند فرود في كتاب الطوطم والطابو أو المقدس والمحرم .

( ١٠ ) إذا اعترف انسان بخطئه فكثيراً ما يكون ذلك رغبة في إصلاح ضرر أصابه من ذلك الخطأ ونيل اعجاب الناس لا حباً للصواب واقتناعاً به أو قد تقنعه المنفعة المرجوة . وإلا بقي على عناده لا يدرك وجه الخطأ ولا يستطيع أن يقنعه دليل منطقي . ومما يسهل هذه الغفلة عن الخطأ النفسي ان النفس كما قال سيجموند فرود في كتاب العلل النفسية في الحياة اليومية تستطيع ان تلتمس ما ترى نسيانه من أمرها زمناً ، فاذا لم يكن سبيل الى ذلك النسيان ورأت في الاعتراف بالخطأ فضلاً وتقدماً لدى الناس وإعجاباً ، أقدمت على الاعتراف بالخطأ مطمئنة .

( ١١ ) بعض العظماء ليس من المستطاع الاعجاب بعظمتهم إلا على بعد كالصور الفنية قد لا يستطاع ادراك جمالها الفني إلا إذا ابتعدت عنها . وهذا تشبيه بديع لأن دقائق الألوان والخطوط وتفاصيلها قد تعوق عن إدراك القدرة الفنية التي بها استطاع الراسم رسمها . ومن جهة أخرى يستطاع تشبيه جمال هذه العظمة على بعد بجمال المناظر الطبيعية . فانك قد ترى وأنت على ظهر سفينة جزيرة كأنها جنة غناء فيحاء فاذا نزلت الى البر وجدت اللباب والأقذار والوحل وما هو أشد على النفس من ذلك . والظاهر ان مؤلفي كتب سير العظماء والمشهورين في هذا العصر يخالفون هذا الرأي ويرون انه يستعصي إدراك عمل العظيم وتمام فهمه إلا إذا عرض في مباذله أو نقائصه عرضاً تاماً . نعم يحاولون الوصول الى أعماق

نفسه ووعيه الباطن . متناسين وصف ميجسوند فرويد للوعي الباطن ولعلّ في عملهم هذا أيضاً شيئاً من الحسد والانتقام من غير ان يشعروا به كحسد القبائل البدائية التي في كتاب الطوطم والطابو والأقوام الذين كانوا في عمل تقديس ملكهم الجديد يرؤون به ان يمسّ بأيديهم لأنه مقدس فكانوا يمسونه بأطراف قضبان . لكن هذا المسّ المقدس كان يتحول من غير ان يفطنوا الى ضرب قد يؤدي بحياة الملك حسداً له على منزلته وما بلغ من جلالة الملك . ومن نظرات ليوبادي ما يلي :

(١) المخادع الماهر هو الذي لا يظن ان كل الناس يسهل خداعهم على كل حال بل يعرف ان من الناس من يتظاهر بالانخداع حتى يعرف غاية المخادع ويكشف أمره . اما المخادع غير اللبق فإنه يستسهل خداع الناس فلا يتخذ أهبته لاتقان الخداع . ومن أجل ذلك كثيراً مايكون المخادع مخدوعاً . وهذا صحيح ومن أجل ذلك قد يكون خداع الرجل الأبله مضحكاً وخداع الساذج مكشوفاً لجميع الناس الا لصاحبه نفسه وحده المخدوع به . على أن للمسألة وجهاً آخر وهو ان نجاح المخادع غير موقوف على مهارته وسذاجة الناس فحسب ، بل على رغبة الناس في أن ينخدعوا . وهذه الرغبة تكون لأسباب متعددة فالغرور قد يؤدي بصاحبه الى احتقار كفاية المخادع فلا يراه ينهض له بخداع متقن . واعتقاد الصدق وسلامة النية في المخادع قد يعمي عن خداعه . والرغبة في الائتناس بالمخادع قد تسهل له اتقان خداعه . والفائدة المرجوة منه قد تذهب بحذر الحاذر منه . ومن أجل هذه الأسباب وغيرها قد يخدع المرء من هو أذكى منه وقد يخيب الذكي اللبق في خداع من هو أقل منه فطنة

(٢) كثير من الناس يسيئون اليك ثم يأبون أن تقابل الاساءة عنلها . وهذا شائع حتى أن بعضهم ينسى اساءته اليك ويرى من اللؤم أن تتذكرها ومن النذالة أن تتألم بسببها ومن الحقد أن لا تقبلها بصدر رحب . فإذا لم تفعل عد المسيء نفسه مساء اليه وهذا الطبع من وسائل الناس ومغالطاتهم في أمور الحياة حتى يغفروا عما يشاءون

(٣) بعض الناس يعيشون طول حياتهم وهم معروفون بالنبل والكرم والشرف . وذلك لأنهم لم يقابلهم في حياتهم ما يضطرهم الى أن يتخلوا عن نبلهم وكرمهم وشرفهم ولكنهم لو أحرجوا وأحوجوا الى ذلك التخلي لاستطاعوا أن يبذوا الأوغاد والازماء في لؤمهم . فهؤلاء نبلاء النفوس . لأنهم ليسوا في حاجة لأن يكونوا لؤماء وهذا الرأي يذكرنا قول البحتري :

إذا أحرجتَ ذا كرم تخطى اليك ببعض أخلاق اللئام

(٤) عرفت طفلاً كان يقول إذا لم تجب أمه طلبه وإذا منعته من شيء : آه . ماما الاني

تحب العبث والعناد. أو ماما مولعة بالشر » ولو فطن الناس الى أحكامهم التي يحكمون بها على جيرانهم وأصدقائهم وأعدائهم لوجدوا أنها من هذا القبيل فاذا مدحنا انسان واسترضانا وكنا نمدحه قبل ذلك وغداً، عدنا نقول أنه ليس ببعيد الى الحد الذي كنا نظن أو انه عرف الحق فرجع اليه والرجوع الى الحق فضيلة فهو من أهل الفضيلة. الى آخر ما يكون من أمثال ذلك

(٥) ان صاحب النقص لا يكون خليقاً بسخر الناس منه والزراية عليه ومبالغتهم في ذلك إلاّ إذا بالغ في تكلف ضده ، كالشيخ الذي يتكلف أخلاق الفتيان وطباعهم وعاداتهم وهيئتهم . أو كالفقير الذي يحاكي الاغنياء أو كالجاهل الذي يظهر بمظهر العالم المتكلم أو كالريفي الذي يحاول أن يقنع جلساءه انه متقن عادات أهل الحضر وانه منهم حذوك النعل بالنعل . وهذا يصدق أيضاً في تكلف اخفاء العيوب الجثمانية بما لا يخفيها بل يزيدها وضوحاً ونماً عنها

(٦) كثير من الناس يريدون أن يكسبوا الشهرة بعمل الخير من غير كلفة أو مؤونة. ومن أجل ذلك قد يعرضون أن يصنعوا الخير لانسان اعتماداً على أن تعففه أو زهده أو حياءه أو قناعته أو شيئاً من أمثال كل ذلك يمنعه من قبول ما يعرضون عليه من المؤونة فيكتفي بشكرهم ويمدحهم لدى الناس وان يذيع انهم من أهل الخير. فاذا خيب ظنهم وقبل معونتهم وورطهم بذلك القبول ، تغير لونهم وتلجلجوا في الحديث وقد يضمرون له المقت والضغينة ثم يغيرون موضوع الحديث ، وانما مثل هؤلاء مثل من يدعون الناس الى وليمة ولم يعدوا وليمة وليست عندهم مادتها وانما يختلقون عن أصحاب الوليمة الموهومة . ان ذلك سعي الى خير وهذا إلى طعام

(٧) من الغريب انه في أكثر لغات العالم يطلق الناس اللفظ الذي يدل على الفضيلة لما يدل على البلاهة فتراهم يضحكون ويقولون فلان رجل طيب — على نياته — وهم يريدون انه أبله — أليس هذا ما يدل على اعتقادهم أن الطيبة وحب الخير وسلامة النية أدلة على البله وان عكس ذلك دليل على الفطنة فهم يكشفون عن سريرتهم وسريرة الناس من حيث لا يشعرون

(٨) أفراد الناس في الهيئة الاجتماعية مثل ذرات المادة في الكون : كل ذرة تقاوم وتضغط على ما يليها من الذرات فتؤثر بهذا الضغط المتسلسل في الذرات البعيدة وهذه تؤثر فيها بضغطها المتنقل المتسلسل فاذا بطلت مقاومة ذرة في مكان ما انجذبت جميع الذرات من كل ناحية الى ذلك المكان فتسحق الذرة التي بطلت مقاومتها وتحل غيرها مكانها وهكذا الناس في الحياة .

(٩) ان من عاشر الناس واشترك في حوادث حياتهم كثيراً ما يرى فيها ما لو كتب قصة عده القارىء مبالغة من نسج الخيال الجامح وأبى أن يصدق أنها من حوادث حياتهم، ولذلك قيل ان الحياة قد تكون أغرب من الخيال وقارىء تلك القصة قد يعدها نابية عن أصول الفن الذي يرخص في الخيال المهذب القريب من المعقول ويقول انها تعدت الخيال القريب المعقول وما هي الا قطعة من الحياة. وهذا يدل على ان تناقض اخلاق النفس أكثر في الواقع مما نظن. ومن أجل ذلك قال كاتب حديث وهو مرست موام ان مهارة القصصي في تقليم الحقيقة وتنسيقها وتجنب المبالغة فيها والتأليف بين المتناقضين تأليفاً يزيل وحشة الخلاف وشك الغرابة وييسر اجتماعهما ويلطف من حالات النفوس وفجاءاتها غير المألوفة. ومن نظرات شوبنهور ما يلي:

(١) كثيراً ما ينطق الانسان بأقوال قد تعرضه معرفة الناس لها. ولكن قلما ينطق بما يجعله أهلاً للهزء والسخر. وهذا صحيح لأن الانسان بطبعه حيوان معجب بنفسه. ولكنه قد يكون مغرماً بالظهور بين الناس — وهذا نوع آخر من الاعجاب بالنفس — فيؤدي به حب الظهور الى أن يجعل نفسه أضحوكة، إذا لم يجد سبيلاً آخر الى الظهور.

(٢) قد يتألم المرء من ظلم وقع به أو إهانة صغيرة مقصودة كانت أم غير مقصودة أكثر من تألمه من مصائب القضاء والقدر، لأن مصائب القضاء والقدر عامة ولا اهانة فيها ولا إستعلاء إنسان على إنسان. أما الظلم أو الاهانة فانها دليل على ظهور إنسان على إنسان بالنسان وحده أو بالقوة أو بالمكر والحيلة فتشعر بالمذلة والنقص وتدعو الى التفكير في الانتقام وتزيد حقيقة الاهانة والظلم في الذهن حتى لا تطاق. وقد يقدم المرء على الانتقام حتى ولو كان فيه أضعاف أضعاف ما في ذلك الظلم أو الاهانة من المضرة، وقد يؤدي انتقامه الى ضياع حياته وهو يردد قول شمشون (عليّ وعلى أعدائي يارب) ثم هو قد لا يلتذ الانتقام وان فاز به بل قد يجد له مرارة وحسرة.

(٣) كثيراً ما يكون تجسس إنسان على انسان لمعرفة أسراره سببه الحسد أو الملل والسأم. فهو قد يحسد إذ يعتقد ان انساناً نال من أطايب الحياة وملذاتها أو ما يعده المتجسس ملذات وأطايب أكثر مما ناله ذلك المتجسس فيلاحقه ويأخذ عليه نظراته وكلماته وأعماله في خلواته وجلواته وكثيراً ما تكون الضجة التي يدعي فيها الأشرار نصرة الفضيلة من نوع هذا الحسد.

(٤) في بعض الأحايين نود ان يحدث أمر ونود ان لا يحدث وأن لا يكون فتجتمع

في النفس رغبتان متناقضتان في وقت واحد ، فمثلاً اذا كان لا بدّ ان تؤدي اختباراً في أمر من أمور الحياة كي نصير ظافرين مسرورين فان الرغبة في الظفر والمسرة تغرينا بأن نود اقتراب موعد ذلك الاختبار ، ولكن الخوف من الخيبة يغرينا ان نود لو تأخر موعد الاختبار فاذا اتفق حدوث ما يؤخر ميعاده كأننا نحس بحسرة وأسف . فسرة لتجنب احتمال الخيبة مدة من الزمن ، وأسف لتأخر ميعاد النجاح والفوز بما نريد . وكثيراً ما يتوهم الناس ان اجتماع الضدين في النفس في وقت واحد أمر محال وهو ليس كذلك وقد فسر سيجموند فرويد هذه الاحاسيس الثنائية المزدوجة في كتاب الطوطم والطابو أي المقدّس والمحرّم ، ووصفها عند الأقوام البدائيين .

(٥) لا يستطيع الانسان ان يعرف مقدار ما في نفسه من الصبر والجلد على تحمل الألم ومن القدرة على العمل العظيم أو على مكافحة الخطوب إلاّ إذا أتيحت له فرصة لاختبار نفسه . وقد تظهر في بعض النفوس قوى كانت كامنة وكانت لا يعترف أحد لها بها حتى صاحب النفس قد تدهشه قواه الخفية إذا ظهرت وإنما مثل الانسان أمام نفسه مثل الناظر الى بحيرة هادئة مستقرة كالمرآة ليس بها موج ، فلا يستطيع الرائي ان يدرس عظم أمواجها التي تحاول أن تهشم الصخور وذلك اذا هبت عليها الأعاصير . وبعض من يخاف وقع الخطوب قادر على مجالدتها ومناهضتها وقد يعجز بعض من يتناهزها كما قد يعجز بعض من يبدي شجاعة في الأمور اليومية الصغيرة ولا تنم خبرته من وصف شجاعته . فاذا اختبرته الخطوب والمصائب ذلّ وضعف .

( ٦ ) في أكثر لغات العالم اصطلح الناس على ان الصفات الذائعة بينهم صفات احتقار فيقولون هذا أمرٌ شائع وعمومي ومبتذل ومشترك ومطروق ومألوف ومعروف . ويقولون فلان من العامة ومن الدهماء الى آخر ما هناك من المترادفات . وهذا الاصطلاح في اللغات دليل واعتراف على ان الفضل غير شائع بينهم بل يشذ به الآحاد وإنهم إنما يشتركون في النقص .

(٧) بُعْدُ مكان الشيء يصغّر من حجمه ويخفي معايبه . وهذا مثل العدسة التي تصغّر أحجام الأشياء . إمّا العدسة التي تكبّر الاحجام فانها تكبّر ما خفي من العيوب . وماضي الحياة يتأثر ببعده حتى تصغر متاعبه وحتى تألف الذكرى حسناته وتتغاضى عن سيئاته . أمّا الزمن الحاضر فلا ميزة له من هذه الناحية . لأن الشيء الصغير يبدو كبيراً اذا كان قريباً حتى أنه قد يحجب عن النظر ما هو أكبر منه حجماً وأبعد مكاناً . ومن أجل ذلك تبدو

متاعب الحياة اليومية شاقة عظيمة خطيرة فتشغلنا وتثير قلقنا وأحلامنا المختلفة الى أبعد حد ودرجة . ولكن اذا حملها الزمن في تياره وابتعدت عنا صارت حقيرة صغيرة وقد ينساها الانسان بعد أن شغلته وقت عليه .

(٨) الانسان يتشيع ما دُرّب عليه من الصغر ويعتقده ويسير على نهجه . وكثير من الناس يدربون على لون واحد من ألوان فضيلة من الفضائل وينزهون أنفسهم عما يقابلها من الرذيلة في شكل واحد دون جميع أشكالها ومعارضيها . فإن التجار من أصحاب الدكاكين ينزهون أنفسهم عن قطع الطريق وعن التلصص ليلاً والسطو على المنازل للسرقة ثم يحسبون أنهم قد جمعوا جميع أصناف النزاهة . فاذا اتهمت أحدهم بالسرقة شق عليه ذلك مع أنه قد يغش المشتري في الثمن أو صنف البضاعة فيكون سارقاً من غير شك . ولكنه لا يعد نفسه سارقاً بل يرى أنه منزه عن السرقة . وقس على ذلك فضائل الناس ورذائلهم في أحوال الحياة المختلفة . وشبيه بذلك أن الرجل الموصوف بالشجاعة قد تكون شجاعته مقصورة على أمور دون أمور وكذلك الجبن .

(٩) الأمل هو تحول الرغبة في حدوث شيء الى توقع حدوثه حتى لقد يكون التوقع قريباً منظوراً بالرغم من أن فرص احتمال الحدوث فرصة في الألف أو في مئات الآلاف كما في توقع الكسب من أوراق اليانصيب .

(١٠) قد ترى أشجاراً على بعد فتعجب لجمالها فاذا اقتربنا منها وجدناها شيئاً مألوفاً لا كما صورت لنا . وهذا مثل سعادة أكثر الناس فانا نرى سعادة السعداء على بعد ونغبطهم عليها فاذا اقتربنا منها وفحصناها زالت روعتها او أكثر بهجتها لما في حياتهم من آلام ومتاعب وأمراض ومشكلات فان السعداء غير معفون من هذه الامور بل يشاركون الناس فيها .

(١١) من أسباب خطئنا في الحكم على الناس أننا نفرض وجود الصفات المتجانسة . فثلاً نرى الكريم : فننسب إليهم النزاهة والشرف والنبل وننسى أنها قد تجتمع وقد لا تجتمع ، ونرى الكذب : فننسب إليهم المكر والغش والاختلاس والسرقة وقد لا تجتمع .

ع . ش